

مَهْدَبُ خُطْبَةٍ:

كَيْفَ نَسْتَمِطِرُ الرَّحْمَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ؟

جَمْعٌ دَرَسِيٌّ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِضِيلَةَ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ﷺ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

«فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَّلَ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَى خَلْقِهِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ النِّعَمِ، وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَوْسَعَ كُلَّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلًا؛ فَوَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَسَّعَتْ نِعْمَتُهُ كُلَّ حَيٍّ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْبَرَايَا، وَوَصَلَ جُودُهُ إِلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ؛ فَلَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِحْسَانِهِ طَرْفَةٌ عَيْنٍ وَلَا أَقَلُّ مِنْهَا، فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ؛ قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فَبَلَغَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ.

وَأَخْبَرَنَا -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ؛ فَكَانَ صَاحِبَ الرَّحْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْعَظِيمَةِ الْوَاسِعَةِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا:

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَغَمْرُهُ فَضْلُهُ - تَعَالَى - وَإِحْسَانُهُ^(١).

وَرَحْمَةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَأَمَّا الْعَامَّةُ: فَهِيَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ مَرْحُومُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَوْ لَا رَحْمَةُ اللَّهِ مَا أَكَلُوا وَمَا شَرَبُوا، وَمَا اِكْتَسَوْا وَمَا سَكَنُوا؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُمْ؛ فَهَيَّا لَهُمْ مَا تَقَوْمُ بِهِ أَبْدَانَهُمْ مِنَ الْمَعِيشَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ.

وَأَمَّا رَحْمَتُهُ الْخَاصَّةُ: فَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَسْتَمِرُّ رَحْمَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَفِي الدُّنْيَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِحُصُولِ مَا تَقَوْمُ بِهِ أَبْدَانَهُمْ، وَفِي الْآخِرَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِحُصُولِ مَا تَقَوْمُ بِهِ أَدْيَانَهُمْ.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا - وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ صَادِقُ الْمَقَالِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَخَيْرِ الرَّاحِمِينَ، وَرَحْمَتُهُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلَادِنَا، وَأَنْفُسِنَا.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله سَبِيًّا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَحْلِبُ تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟».

قُلْنَا: لَا - وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ إِلَّا تَطْرَحَهُ -.

فَقَالَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا»^(٢). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

(١) «الصلاة» لابن القيم: (ص ١٤٣)، بتصرف يسير.

(٢) «صحيح البخاري»: (١٠ / ٤٢٦ - ٤٢٧، رقم ٥٩٩٩)، و«صحيح مسلم»: (٤ / ٢١٠٩، رقم ٢٧٥٤).

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) - قَالَ ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَرَاخُمُ الْخَلْقِ؛ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ».

رَجَاءُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْهَا

لَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَلَبِ الرَّحْمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَحَّدَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ مُلَازِمٌ لِلْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ النَّافِعُ، وَبِهِ تَحْصُلُ السَّعَادَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَرَوْحُ اللَّهِ هُنَا: رَحْمَتُهُ (٢) الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ مِنْهَا مَوْقِفَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ بِالْإِنْسَانِ الْمِحْنُ وَتَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الرَّزَايَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْفَرْجِ، وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ، وَتَبْدِيدِ الْخُطُوبِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

(١) «صحيح البخاري»: (٤٣١/١٠)، رقم (٦٠٠٠)، و«صحيح مسلم»: (٤/٢١٠٨، رقم ٢٧٥٢)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية للبخاري: (٣٠١/١١)، رقم (٦٤٦٩): «...، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَنْتَسِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره»: (٢/٢٢٢، رقم ١٣٣٧)، والطبري في «جامع البيان»: (١٣/٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: (٧/٢١٩٠، رقم ١١٩١١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، قَالَ: «مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

وقال الضحاك والسدي، بنحوه.

مِنَ أَعْظَمِ صِفَاتِ نَبِيِّنَا وَأُمَّتِهِ ﷺ الرَّحْمَةُ

الرَّحْمَةُ هِيَ رِقَّةُ الْقَلْبِ وَصَفْوَةٌ وَرَحْمَتُهُ لِلْخَلْقِ، وَزَوَالُ فَسْوَتِهِ وَغِلْظَتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَحْلَاقِ صَفْوَةِ الْخَلْقِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

إِنَّ مَنْ سَبَرَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَصْفٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَهُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ -، وَمَنْ سَبَرَ أَحْوَالَهُمْ؛ وَجَدَ الرَّحْمَةَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي كَانَتْ تَغْلِبُ غَضَبَهُ، وَلَهُ مِنْهَا الْحِظُّ الْأَوْفَى.

فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ لِذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَلَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ مِنْ سِيرَتِهِ وَسُنَّتِهِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ، وَمَا جَاءَ عَنْهُ مِنَ الْأَمْرِ بِهَا، وَالْحَثِّ عَلَى امْتِثَالِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يَعْسُرُ حَضْرَهُ وَاسْتِقْصَاؤُهُ؛

لِذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْدَانُ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إِنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ مُهِمَّةٌ، مَحْبُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى-، اتَّصَفَ بِهَا بِكَمَالِهَا الرَّسُولُ الْأَمِينُ ﷺ.

وَالصِّفَةُ الْبَارِزَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هِيَ الرَّحْمَةُ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فَهِيَ صِفَةٌ بَارِزَةٌ مِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ سُوءِ حَظِّهِ وَشَقَاوَتِهِ الْحِرْمَانُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ الصَّادِقَ الْمُصَدِّقَ أَبَا الْقَاسِمِ رضي الله عنه يَقُولُ: «لَا تُنَزِعْ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (١). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ.

(١) «الأدب المفرد» (رقم ٣٧٤)، وأخرجه أيضا أبو داود (رقم ٤٩٤٢)، والتِّرْمِذِيُّ (رقم ١٩٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ رقم ٢٢٦١)، وفي «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٢٨٨).

النَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّ الرَّحْمَةَ فِي الْخَلْقِ هِيَ رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ، وَرِقَّةُ الْقَلْبِ عِلْمَةُ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَا رِقَّةَ لَهُ فِي قَلْبِهِ فَلَا إِيْمَانَ لَهُ، وَمَنْ لَا إِيْمَانَ لَهُ شَقِيٌّ، فَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ الرِّقَّةَ فِي الْقَلْبِ وَالرَّحْمَةَ فِي الْفُؤَادِ شَقِيٌّ.

الرَّحْمَةُ مِنْ أَسْمَى غَايَاتِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

الرَّحْمَةُ خُلِقَ ثَابِتٌ وَمُتَّصِلٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ قِيَمِ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَسْمَى أَهْدَافٍ وَأَعْظَمِ غَايَاتٍ وَأَجَلِّ مَقَاصِدِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ (١)، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ» (٢).

وَتَأْيِيدًا لِهَذَا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَفْهُومَ وَهَذِهِ الْقِيَمَةَ الْعَظِيمَةَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ تَكَرَّرَ مَفْهُومُ الرَّحْمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، هَذَا التَّكْيِيدُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ قِيَمَةَ الرَّحْمَةِ حَاضِرَةً بِاسْتِمْرَارٍ فِي وَعْيِ النَّاسِ؛ حَتَّى يَكُونَ التَّعَامُلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَانِمًا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبَنَى النَّبِيُّ إِلَى أَنَّ الرَّاحِمُونَ يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَحَصَرَ الرَّحْمَةَ فِيهِمْ (٣)، فَقَدْ جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا يَرَحِمُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ» (٤).

وَالرَّحْمَةُ هِيَ ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يُوصَى بِغَضَبِهِمْ بَعْضًا بِالرَّحْمَةِ، وَوَعَدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَنِ اتَّصَفَ بِالرَّحْمَةِ وَوَصَّى بِهَا غَيْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ جَنَّةَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِمْنَةِ﴾ [البلد: ١٧-١٨].

(١) من مقال بعنوان: «الرحمة».

(٢) أخرجه الدارمي (١٥)، وصححه الحديث الألباني في «الصحيحه» (ح ٤٩٠).

(٣) من مقال بعنوان: «الرحمة».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٢٨٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٩٢٣)، من حديث: أسامة بن

سُبُلُ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِذَا فَتَحَ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْعَبْدِ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ نَالَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَأَدْرَكَ بِهِ كُلَّ بَرٍّ، ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

«يَقُولُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ-: مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَمَعَالِقُهُ كُلُّهَا بِيَدِهِ؛ فَمَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ خَيْرٍ فَلَا مُغْلَقَ لَهُ، وَلَا مُمْسِكَ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَمْرُهُ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ مَا يُغْلِقُ مِنْ خَيْرٍ عَنْهُمْ فَلَا يَسْطُطُهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَفْتَحُهُ لَهُمْ، فَلَا فَاتِحَ لَهُ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَيْهِ وَهِيَ» (١).

فَتَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، سَلُّوهُ مِنْ فَضْلِهِ، خُذُوا بِأَسْبَابِ الْفُوزِ بِرَحْمَتِهِ، فَقَدْ بَيَّنَّهَا لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَّهَا لَكُمْ رَسُولُهُ فِي سُنَّتِهِ، بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مَعَكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ يَكُونُ نَصِيبُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَالْنَّاسُ بَيْنَ مُسْتَقْلٍ وَمُسْتَكْتَبٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقَمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا» (٢)؛ يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاخَمُ بِهَا الْخَلْقُ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخْرَجَتْ سَعًا وَتَسْعِينِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٣) (٤).

(١) «تفسير الطبري» (٤٣٦/٢٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠١٠).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٢).

وهو عند البخاري (٦٤٦٩) أيضا بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْتَسَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤٨١/٣).

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: التَّوْبَةُ وَالِدُّعَاءُ وَالتَّائِبُ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا

إِنَّ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَنَيْلِهِمَا أَسْبَابًا؛ إِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا الْعَبْدُ فَقَدْ أَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَعْظَمُهَا وَأَجْلُّهَا الْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالِدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّائِبِ وَالتَّعَبُّدِ، فَهَلُمَّ إِلَى هَذَا السَّبَبِ الْأَجَلِّ وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ!

وَلِهَذَا أَمَرَ -تَعَالَى- بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ﴿بِقُلُوبِكُمْ﴾ ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ ﴿بِجَوَارِحِكُمْ﴾.

وَقَدْ أَرْشَدَنَا اللَّهُ إِلَى أَنْ نَدْعُوهُ أَنْ يَهَبَنَا مِنْ رَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: الْإِيمَانُ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ

إِنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، فَمَا عَلَى الْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَجْتَهِدَ فِي سُلُوكِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْهَا لِيُنَالَ رَحْمَةَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: الْإِيمَانُ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجنابة: ٣٠].

قَالَ ﷺ: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ -تَعَالَى- أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثْرِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهَا رَحْمَاتُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: الْإِخْلَاصُ لَهُ -سُبْحَانَهُ-، «فَمَنْ خَلَصَتْ نَيْتُهُ فِي الْحَقِّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَأْنُهُ اللَّهُ.

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَلَصَتْ نَيْتُهُ لِلَّهِ -تَعَالَى-، وَكَانَ قَصْدُهُ وَهَمُّهُ وَعَمَلُهُ لِرَجَائِهِ -سُبْحَانَهُ- كَانَ اللَّهُ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وَرَأْسُ التَّقْوَى وَالْإِحْسَانِ خُلُوصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَا غَالِبَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْلِبُهُ أَوْ يَنَالُهُ بِسُوءٍ؟! فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَ الْعَبْدِ فَمَنْ يَخَافُ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فَمَنْ يَرْجُو؟ وَبِمَنْ يَتَّقُ؟ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَعْدِهِ؟

فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِالْحَقِّ عَلَى غَيْرِهِ وَعَلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا، وَكَانَ قِيَامُهُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَادَتْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ لَكَفَاهُ اللَّهُ مُؤْتِنَهَا، وَجَعَلَ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا»^(١)..

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[فاطر: ٢].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: اتِّبَاعُ كِتَابِ اللَّهِ وَالْعَمَلُ بِهِ

مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ: اتِّبَاعُ كِتَابِ اللَّهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالِاسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ لَهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ١٢١) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

وَعَنِ الْأَعْرَابِ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقَعْدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ»^(١)، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ^(٢)، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ^(٣)، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فَيَمَنُّ عِنْدَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٤).

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ هُنَاكَ طُرُقًا كَثِيرَةً وَأَسْبَابًا عَدِيدَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَجْلِبَ رَحْمَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ تِلْكَ الْأَسْبَابِ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالتَّقْوَى، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي آيَةٍ أُخْرَى فِي بَيَانِ مَنْ سَيَنَالُونَ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

تُنَالُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاهُ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿وَلِنَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

(١) «حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ»، أَي: أَحَاطَتْ بِهِمْ مِنْ جَوَانِبِهِمْ.

(٢) «وَأَغَشَتْهُمْ»، أَي: عَلَنَتْهُمْ وَسَتَرَتْهُمْ «الرَّحْمَةُ» مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(٣) «السَّكِينَةُ» مِنَ السُّكُونِ، وَالْمُرَادُ بِالسَّكِينَةِ هُنَا الطَّمَأِينَةُ وَالْوَقَارُ.

وَيَجُوزُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ كَسْرُ الْهَاءِ وَضَمُّ الْمِيمِ فِي «عَلَيْهِمْ» وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَضَمُّهُمَا، وَكَسْرُهُمَا.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤/ ٢٠٧٤، رَقْمُ ٢٧٠٠).

رَحْمَةُ اللَّهِ تُنَالُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلِلَّهِ كَمَ مِنَ الرَّحْمَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَى الْمُصَلِّينَ وَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيَرْكَعُونَ لَهُ وَيَسْجُدُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: الْإِسْتِغْفَارُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ تَكْثُرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَنْقُومُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].
 ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: هُوَ رَحِيمٌ بِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ.

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: الْإِحْسَانُ

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْإِحْسَانُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].
 ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، الْمُحْسِنِينَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَكْثَرَ إِحْسَانًا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَكَانَ رَبُّهُ قَرِيبًا مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ، وَفِي هَذَا مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْإِحْسَانِ مَا لَا يَخْفَى^(١).

وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

* الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ.

* وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمَخْلُوقِ.

فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي «الصَّحِيحِ» - فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٩١).

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَى الْمَخْلُوقِ؛ فَهُوَ إِصْطَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالْدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالْدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ.

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: الْإِيمَانُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجِهَادُ

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ: الْإِيمَانُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى-: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَخَوْفُ اللَّهِ وَرَجَاؤُهُ يُورِثَانِ الْعَبْدَ فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَعُفْرَانَهُ، قَالَ ﷺ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَى مَعْاصِيهِ»^(١).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغْسَهُ -أَي: رَزَقَهُ- اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ.

قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ؛ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم.

فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟

قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»^(٢).

(١) «تفسير الطبري» (١٣/١٣٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٧٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ فَمَا تَلَفَاهُ غَيْرَهَا».

مِنْ أَسْبَابِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى-: الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٥٥-١٥٧﴾.

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَاتِ الرَّحْمَنِ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿الحجرات: ١٠﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَإِذَا حَصَلَتِ الرَّحْمَةُ، حَصَلَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْظَمِ حَوَاجِبِ الرَّحْمَةِ.

مِنْ سُبُلِ اسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ اللَّهِ: رَحْمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ

إِنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ وَالسُّبُلِ الْبَسِيرَةِ لِاسْتِمْطَارِ رَحْمَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ: رَحْمَةُ الْمُسْلِمِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَأَعْمُرُوا قُلُوبَكُمْ بِالرَّحْمَةِ لِلخَلْقِ، فَإِذَا أَرَدْتَ رَحْمَةَ الْخَالِقِ فَارْحَمْ الْخَلْقَ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ سَبَبَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْحَمَ الْإِنْسَانَ خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» (٢). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٦٠١٣، ٧٣٧٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٢٣١٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِ» (رَقْم ٤٩٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (رَقْم ١٩٢٤)، وَزَادَ: «... الرَّحْمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَالحَدِيثُ حَسَنٌ لغيره الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢/ رَقْم ٩٢٥)، وَفِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢/ رَقْم ٢٢٥٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ.

فَقَالَ: إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشْرَةَ مَا قَبَلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ؛

يَعْنِي السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ رضي عنه يَقُولُ: «لَا تُنْزِعُ الرَّحْمَةَ

إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (٣)..

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ (٤) بِرَكِيَّةٍ (٥) كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ

مَوْقَهَا - أَي: خُفَّهَا - فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ - أَي: بِالْخُفِّ -، فَسَقَتْهُ - أَي: فَسَقَتْ الْكَلْبَ - فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفِرَ لَهَا

بِهِ» (٦).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٥٩٩٧)، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ٢٣١٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٥٣٠٤، وَ ٦٠٠٥)، بَلْفُظٍ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ - وَفِي

رِوَايَةٍ: [وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ] - وَالْوَسْطَى، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: وَقَرَّحَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (رَقْم ٤٩٤٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رَقْم ١٩٢٣)، وَحَسَنُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢/

رَقْم ٢٢٦١)، وَفِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (رَقْم ٢٨٨).

(٤) (يُطِيفُ)، أَي: يَدُورُ حَوْلَهَا، يُقَالُ: طَافَ بِهِ وَأَطَافَ إِذَا دَارَ حَوْلَهُ، انْظُرْ: «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (١٤/

٢٤٢).

(٥) (الرَّكِيَّةُ): الْبُئْرُ، وَجَمْعُهَا رَكِيٌّ وَرَكَيَا، انْظُرْ: «الصَّحَاحُ» مَادَّة: رَكَ (٦/ ٢٣٦١)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٤/ ٣٣٣ -

٣٣٤)، وَ«فَتْحُ الْبَارِي» (٦/ ٥١٦).

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٣٤٦٧)، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ٢٢٤٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رَقْم

٣٣٢١)، بَلْفُظٍ: «غَفِرَ لِمَرْأَةٍ مُؤَمِّسَةٍ؛ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ

بِخِمَارِهَا فَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَغَفِرَ لَهَا بِذَلِكَ».

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا».

قَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ» مَرَّتَيْنِ^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» وَفِي غَيْرِهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

إِنَّ الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ بَيْنَهُمْ، وَالْإِسْلَامُ يَحْتُ عَلَى غَرَزِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَصِفَةِ الرَّحْمَةِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.

«إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ الرَّحْمَاءَ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»^(٣).

رَحْمَةُ الْعَبْدِ لِلْخَلْقِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ، الَّتِي مِنْ آثَارِهَا خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتُ الْآخِرَةِ، وَفَقْدُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْقَوَاطِعِ وَالْمَوَانِعِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ فِي غَايَةِ الضَّرُورَةِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَانْدِفَاعِ النِّقَمِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

فَمَتَى أَرَادَ أَنْ يَسْتَبْقِيَهَا وَيَسْتَزِيدَ مِنْهَا فَلْيَعْمَلْ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا رَحْمَتُهُ، وَتَجْمَعُ كُلُّهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وَهُمْ الْمُحْسِنُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، الْمُحْسِنُونَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ الْعَبْدِ بِهِمْ.

فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَعَرَّفُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا هَذَا الْوَصْفَ الْجَلِيلَ، وَيَجْتَهِدُ فِي التَّحَقُّقِ بِهِ، حَتَّى يَمْتَلِي قَلْبُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحَنَانِ عَلَى الْخَلْقِ.

(١) «الأدب المفرد» (رقم ٣٧٣)، وَأَخْرَجَهُ أَيضاً أَحْمَدُ فِي «المسند» (٣/ ٣٤٦، رقم ١٥٥٩٢) و(٥/ ٣٤، رقم ٢٠٣٦٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٢٨٧)، وَفِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١/ رقم ٢٦).
(٢) «الأدب المفرد» (رقم ٣٨١)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٢٩٤)، وَفِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١/ رقم ٢٧).

(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صحيحه» (رقم ١٢٨٤) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صحيحه» (رقم ٩٢٣)، مِنْ حَدِيثِ: أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «...، إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ».

مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ: السَّمَاخَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ

مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ: السَّمَاخَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا»^(١) إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(٢). وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»^(٣).

مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: زِيَارَةُ الْمَرِيضِ

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اسْتِجَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ: زِيَارَةُ الْمَرِيضِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاصًّا الرَّحْمَةَ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَقْنَعَ فِيهَا، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ خَاصَّ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَرْجِعَ بَيْتَهُ»^(٤).

مِنْ سُبُلِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: قِيَامُ اللَّيْلِ

مِنْ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قِيَامُ اللَّيْلِ، قَالَ صلوات الله وسلامته عليه: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»^(٥). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَالنَّسَائِيُّ.

(١) (سمحا)، أي: جوادا متساهلا.

(٢) (إِذَا اقْتَضَى)، أي: طَلَبَ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بِسُهُولَةٍ وَعَدَمِ الْحَافِ.

(٣) «صحيح البخاري»: (٤ / ٣٠٦، رقم ٢٠٧٦).

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٨ / ٢٥، ١٠٧٩٧)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْكَفَارَاتِ» (٢١٧) عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ بَلْفُظًا: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاصًّا فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا جَلَسَ اسْتَقْنَعَ فِيهَا» وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (١١٣ / ١٠)، وَهُوَ شَاهِدٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (٥٢٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلوات الله وسلامته عليه يَقُولُ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاصًّا فِي الرَّحْمَةِ، حَتَّى إِذَا قَعَدَ اسْتَقْرَّ فِيهَا»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَيْهِ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (٢ / ٣٣ و ٧٠، رقم ١٣٠٨ و ١٤٥٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»: (٣ / ٢٠٥)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ»: (١ / ٤٢٤، رقم ١٣٣٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ لغيره الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح أبي داود»: (٥ / ٥١، رقم ١١٨١).

مِنَ أَسْبَابِ نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: صَلَاةُ أَرْبَعِ قَبْلِ الْعَصْرِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ

مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَلِيلَةِ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ: صَلَاةُ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا» (١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» (٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْرِصُوا عَلَى اسْتِجْلَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِفِعْلِ مَا تيسَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ وَالمُنْتَوَعَةِ.. فَهَذِهِ كَانَتْ جُمْلَةً مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْلِبُ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا؛ لِتَنْزِيلِ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَاتِ الرَّبَّانِيَّةَ وَالْهَبَاتِ الإِلَهِيَّةَ.

مِنَ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

لَا يُمَكِّنُ لِلْوَاصِفِينَ أَنْ يُعْبَرُوا عَنْ جُزْءٍ يَسِيرٍ جِدًّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَثَّهَا وَنَشَرَهَا عَلَى الْعِبَادِ، وَأَنْتَ لَوْ تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ؛ لَرَأَيْتَهُ مُمْتَلئًا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ الْوَاحِدَةِ كَامْتِلَاءِ الْبَحْرِ بِمَائِهِ وَالْجَوِّ بِهَوَائِهِ. وَمِنْ آثَارِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا: أَنَّ الدَّابَّةَ تَرْفَعُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ. وَمَا مَتَّعَكَ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ، وَفَضَّلَكَ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْأَرْوَاحِ، وَمَا أَكْرَمَكَ بِهِ مِنْ قَبُولِ الْعِلْمِ. بِنِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ: بِإِرْسَالِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنْزَالِ كُتُبِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفِهِمْ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ؛ أَعْظَمَ النِّعَمِ وَأَجْلَهَا وَأَعْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا، بَلْ لَا نِسْبَةَ لِرَحْمَتِهِمْ بِالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْغَيْثِ وَالنَّبَاتِ إِلَى رَحْمَتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالشَّرَائِعِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَيْنَ هَذِهِ مِنْ تِلْكَ؟!!!

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٨/١٠، رَقْمُ ٥٩٨٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٢٧١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤٣٠) وَغَيْرُهُمْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مِهْرَانَ الْقُرَشِيِّ، حَدَّثَنِي جَدِّي أَبُو الْمُثَنَّى، عَنِ ابْنِ عُمَرَ بِهِ.

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٣٠١): «قَدْ اخْتَلَفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَانَ، وَعَلَّلَهُ غَيْرُهُ»، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «المشكاة» (١١٧٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَحْوَجَ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لِيَتَمَّ بَيْنَهُمْ مَصَالِحُهُمْ، وَلَوْ أَغْنَى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ وَفَسَدَ نِظَامُهُمْ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ فِيهِمُ الْغَنَى وَالْفَقِيرَ، وَالْعَزِيزَ وَالذَّلِيلَ، وَالْعَاجِزَ وَالْقَادِرَ، وَالرَّاعِيَّ وَالْمَرَعِيَّ، ثُمَّ أَفْقَرَ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَمَّ الْجَمِيعَ بِرَحْمَتِهِ..

فَجَمِيعُ مَا فِيهِ الْعَالَمُ الْعُلُويُّ وَالسُّفْلِيُّ مِنْ حُصُولِ الْمَنَافِعِ وَالْمَحَابِّ وَالْمَسَارِّ وَالْخَيْرَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ وَمِنْ رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، كَمَا أَنَّ مَا صُرِفَ عَنْهُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالنِّقَمِ وَالْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ وَالْمَضَارِّ؛ فَإِنَّهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبِرِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ..

